



من أوائل قصائد هذا الشاعر أبيات وجهها إلى منذ أربع  
عشرة سنة يشكو بها الحياة وهو لما نزل على عتبة الشباب وقد  
نشرتها جريدة الشعب، وبلذ لي بل أرى من دعائم يحيى أن أتلف  
منها بعض أبيات :  
قال مفتوحاً :

أشكو إلي قلبك يا سيدي      قلباً نوى في حظي الأسود  
أطلقته طفلاً ولما نما      أصبح محتاجاً إلى مرشد  
وقال :

فارس، ما للحر من راحة      في وطن يرتاح للأبد  
وبل الشباب النض من قلبه      إذا أضلوه ولم يهتد  
يا شاعر الآلام هذا دى      ذوبته شحماً على مبدى  
هذى شكاني يا خطيب العمى      أرفعها للرجل الأوحى  
وجدت في نفسك ما لم أجد      في أنفاس شحمة هجد  
لامت في أماتها ثورة      أخذت النار ولم تمجد

\*\*\*

هذه الأبيات يزفر بها صدرى لم يبلغ العشرين، فيها شرارات  
من اللهب المندلع اليوم من كل بيت يرسله أبو شبكة، وإننى  
لأغفر له الآن إغراقه في وصنى بالرجل الأوحى لأنه كان وهو  
يتلفت إلى في ثورة يتاحى ما كمن في نفسه من مثل يهغو إليها  
وقبل أن أعرض لديوان « أفاعى للفردوس » أرى أن أقف  
عند قصيدة الحجر الحى التى أنشدها صاحب هذا الديوان أمام  
تمثال المنقورة « فوزي الملقوف » في حفلة إزاحة الستار عنه في  
السنة الماضية، فأنتظف منها نماذج لاستقرار الالهام وتطورها أن  
أطبق جناحيك معقوداً لك الظفر

فقد وصلت وشروط المجد مختصر  
ما ضر وكرك أن تأنيه منطقاً ما دام قلبك في جنبه يستمر  
عيناك في الحجر المصوب سامرة  
بقظاة فيهما أحلامك للفر  
تواجه الليل هول الرج صاخة      ما ضرك الدب جوطاناً ولا الخمر

## أفاعى الفردوس

ديوانه الأستاذ الياس أبو شبكة  
بقلم الأستاذ فليكس فارس

ديوان يحوى ثلاث عشرة قصيدة من شعر الأستاذ الياس  
أبو شبكة نشرته جريدة الكشوف البيرونية فاسترعت نبراته  
الأنعام، واستوقفت معانيه تفكير التأملين

الياس أبو شبكة نسيج وحده بين شعراء العرب اليوم .  
ولا أقصد بهذا الوصف أن أرفعه فوق أتراه، فهو وإن كان في  
الطليعة من نسور الخيال، لا يسبقهم تحليقاً، ولكنه يند عن سرهم  
نافر من خطوط الأنوار في أجوائهم إلى مسارج النجوم السوداء  
فلا يدور إلا في مقاصف العود، ولا بطوى جناحيه إلا ليحط  
قوادمه على أدواح الغابات الموحشة أو على فوهات البراكين

أبو شبكة نثر مرهق لا تشبهه سقسقة الجداول  
ولا هيون الأزهار ولا ناهدات الأعمار على الأماليد، وليس في إنشاده  
تنريد بلبل أو غناء شحورور. إن للنسر صرخات مدويات لا يأنس  
لها إلا من يتمشق ولولة الرياح على القمم، وهدير الأنهار في الأفوار  
سمت أبا شبكة يرسل أرائل صرخاته في القريض وأنا أحول  
أنين بلدى الخافت إرغاداً أطلقه من قم النار، فكأننى سممت  
جباراً إنشاده فرقة سلاح، وأشماره خطب قيودها دروع  
لازرد أغلال

ولو أن أبا شبكة لم يمد جناحيه إلى أفاق الدنيا ولم يطلق نظراته  
على مجالات الشرق في المجتمع الانساني، لو أنه حصر نشاطه وثورته  
في حدود بلاده ولم يصطلم بالموائر من آمال متقدميه، وقدملات  
منطقات المصاعد كأنها أشلاء، لكان هذا الشاعر يتيه اليوم على  
أرض الناس لا أرض أجداده، لكان اختاره منقياً أو اختبره منقياً

نيران عبق في عينيك إن صرحت  
 مهما طن الليل لا تشقيك زوبعة  
 بظنن والناس عمى في صراخهم  
 عار علينا تنام الليل هائلة  
 لم يبق من رومة إلا صغارها  
 رفعت عنك ستار الناس منتفضاً  
 هذى الستارة كانت في تشدها  
 كأنها وهي تنضي خلمة كذبت  
 منذ ابن صريم والأكفان هاوية  
 كم في بلادك من نفس تود على  
 وبيت الختام هو هذا :

هوج الدجى فلي عينيك تنصهر  
 إلا على جانبي وتبيك تنصهر  
 سبان أموا على ذل أم احتضروا  
 عيوننا وغياب الليل معتكر  
 ومن قياصرها إلا دى كسر  
 أبجج الخلد من يقنى ويتندر  
 عليك آخر قيد شدة البشر  
 من الفناء لحاء عنك يقتشر  
 عن النبوغ وسخر القبر منحدر  
 وقاح عورتها أن تسدل الستر

لرب حتى غدا في قومه حجراً  
 هذا أمودج من شمر أبي شبكة أخذناه من الأماليد ومن  
 الجذوع وكلاهما صلب كالأرز ينتصف عوده ولا يلتوى  
 وإلى الشمراء الآن متقطعات من ديوان أذاعي الفردوس ،  
 الديوان الحامل أسلرباً لا يمكن لأحد أن ينكر جدته وروعته .  
 وقد جاء أبو شبكة بطابع مستحدث في الشعر العربي سيدي هو  
 عميده الأول حتى في الزمن الذي سيكثر فيه أشياعه وبه وقون قانح  
 وهاتك أستاره

لم يشأ شاعرنا أن يتقدم بديوانه دون تمهيد نثرى بسط فيه  
 رأيه في الشعر فجاء بنظرات صائيات تسلسلت في درس عميق بطل  
 فيه من شخصية شاعر حكيم له ثقافته وإطلاعه الواسع وأحكامه  
 كشرقي مستقل في مبادئه لا يؤخذ بالتيار الغربي الذي يحتاج إلهام  
 عدد وفير من الأراء في هذا المهد

اسمع أبا شبكة كيف يواجه مسألة الاستلهام في أوطانه :  
 « وإني لأسأل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس للضيق ،  
 هذا القاموس المتورد ، نشبت به للتعبير عن أعمق حقائق النفس  
 فنرفع الكلفة بيننا وبين اللغة ولا نتورع عن سلوك مراهه غائمه  
 كأننا في حلم ؛ وقد يخيل إلينا ونحن نملك هذه المهامه أننا نسير  
 في الطريق الشعري السوى بينما نحن في الحقيقة لا نحاول  
 إلا الخروج عن أنفسنا مستعدين لنظريات خاطئة بل مضرة  
 نمرر منها حين مبدعوها أنفسهم »  
 إلى أن قال مستنتجاً :

« فالمدارس الشعرية سجون ، ونظرياتهم قبود ، والشاعر لا يعيش  
 في جو تبريد هذا ؛ فالطبيعة هي جوه الفسيح تكبف إحساساته

بتكيف المظاهر المنقلبة فيه ، وإذا خرج الشاعر عن هذا الجو خرج  
 عن نفسه و كذب على نفسه »

هذا ما يقوله أبو شبكة عن المدارس الشعرية التي حسن لدى  
 الغربيين أن يدعى هامدارس . وإنما ترى الفرصة سانحة في معرض هذا  
 البحث لنقول كلمة موجزة عنها وعن الخطأ في تصورهما وتسميتهما  
 إذا صح أن نطلق مدارس على المنادب العلمية والفلسفية فهل  
 يصح أن نطلق هذه التسمية على أساليب الشعراء في بيانهم وعلى  
 ما تستلهمه الأنفس من سرورها وما حولها من المشاهد ؟

إن أتباع المدارس العلمية والفلسفية ينقسمون أرهاطاً على  
 عقائد مبنية مختلف إحداهما عن سائرهما اختلافاً بيناً ، فهناك  
 طرائق وأوليات يسلم بها أشياع كل مدرسة كأنها قانون إيمان إن  
 جنح عنه واحد منهم خرج حتماً من رهطه ليدخل في رهط مدرسة  
 أخرى . وأين في الشعر مثل هذا الاجماع مادامت السليقة وحدها  
 هي المتحركة في خواطر الشاعر وإحساسه ولهجته وطريقة بيانه ؟  
 لذلك يقول لك أبو شبكة :

« إن بول قاليري الذي جاءه بنظريات خلقت في الأدب الغربي  
 جيلاً مضمضاً لم يحد عن صراط « ما ليرب » ولم يتمرد على  
 القاعدة الكلاسيكية في النظم ؛ وإنى لأجد في شعر قاليري أحياناً  
 يستطاع دمها في شعر لامارتين »

إن التضمض الذي يشير أبو شبكة إليه إنما تشاهده بين فئة  
 المتأدين والمتشاعرين في كل أمة ، لأن المشتهرين في كل نوع من  
 أنواع الفنون ينتصبون في خيال محاولي الابداع مثلاً علياً يطلبون  
 بخلق المبقرية عليهم ككافأة لتقليدهم وتضمنهم

أما الفنان الحقيقي فإن طابع شخصيته يظل على جميع  
 المؤثرات التي تدور به والخطارات التي تسرب إلى سريره من  
 مطالعته ، فهو يركب أبدأ سباهه في إنشائه ، ويمسك نبراته في موسيقى  
 بيانه ، حتى ولو تجت في أقوال من تقدموا وعاصروه في أهل فنه  
 إذن ليس في الفن — وأخص منه البيان على الإطلاق —  
 ما يصح أن يدعى مدرسة ؛ وإن كان هنالك من هم بحق أساتذة ،  
 فليس لمؤلا الأساتذة تلامذة بمعنى التلمذة الصحيح ، إذ ما يمكن  
 لطالب الأدب أن يستفيد من أدب معلمه سوى تقليده والسير  
 في ركابه إذا لم يكن لهذا الطالب شخصيته المستقلة التي تجري  
 في مسالكها مقبسة من كل ما يدور في أجواء الأدب من نبرات  
 السيرة دون أن تجاري أحداً وأن تقلد أحداً  
 من الذين تمنعوا ذروة الشعر في النهضة السائرة شعراء تفتي